

اليسار والديمقراطية

كما يخيل لي ان موضوعنا اليوم هام.. وقد عرضته في غير معتقل بالنظر الى أهمية وضرورة تمثله.. فهو حلقة مركزية.. أو بند رئيسي في برنامج اليسار العربي بما فيه الفلسطيني.. بل اليسار في هذه القضية يتمايز على سواه.. وكلنا يعلم ان الحلقة المركزية، حسب التوصيفات اللينينية، هي الحلقة الاساسية في السلسلة التي تقطر وتنفذ الحلقات الأخرى.. وبالتالي فهي تستدعي صرف الجهد الأساسي فيها.. طبعاً ان الديمقراطية في واقعنا الفلسطيني اليوم لا تأتي في المقام الأول.. فالنضال ضد المشروع التصفوي وشق الطريق للحرية والاستقلال هي الحلقة المركزية.

دعونا نبدأ، أهلاً بالجميع، بما في ذلك ضيفنا الشيخ، وصباح الخير:

الديمقراطية تعبير لاتيني قديم مكون من شقين، "ديمو" اي شعب، و"قراط" اي حكم، وأول من مارس أجنة الديمقراطية هم الاغريق قبل ٢٥٠٠ سنة تقريباً، اي في العهد اليوناني القديم، وهو العهد الذي أنتج كبار الفلاسفة كهيروقليطس وأبيقور وارسطو وافلاطون وسواهم، مثلما أنتج الاسكندر وغزواته.. وحسب ذاكرتي فقد مورست الديمقراطية في حدود ضيقة كانتخاب مجلس من قبل الأسياد يدخل في عداد صلاحياته شن الحرب وتعيين قائد الجيش وانشاء تحالفات جديدة، وهذا كله لم تساهم في صنعه الطبقات الدنيا.. ذلك ان فلسفة الأسياد كانت مسيطرة حينذاك والتي عبر عنها خير تعبير افلاطون حينما صنف ووزع الناس على ثلاثة معادن، النحاس والفضة والذهب. أما النحاس فهم العبيد المسترقين والعمال وهم منذ ولادتهم وحتى موتهم يبقون على هذا النحو، أما الذهب فهم رجال الكهنوت والامراء والأسياد، وأما الفضة فقد كانت تشمل الفرسان والحرفيين.. وهذا دفع ارسطو للقول بان المنتصف الاسفل للعبد يسيطر على منتصفه الاعلى.. أما السيد فمنتصفه الاعلى، اي عقله، يسيطر على غرائزه.

ورغم المظهر الديمقراطي الانتخابي، غير ان الديمقراطية كإنجاز حضاري ومفهوم غاية في التشعب هي من انتاج الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ التي رفعت شعار "حرية - إخاء - مساواة" حينما انتفضت الجماهير بقيادة البرجوازية الصاعدة ضد النظام الملكي والكهنوتي الاقطاعي... وقبل هذا التاريخ كان الملك وامراء المناطق والولايات والكنيسة هم الذين يحكمون البلاد ضمن نظام الوراثة.